يقول لهم المؤمن ما بالي أدعوكم إلى النجاة وهي عبادة ا وحده لا شريك له وتصديق رسوله ا الذي بعثه { وتدعونني إلى النار * تدعونني لأكفر با وأشرك به ما ليس لي به علم } أي على جهل بلا دليل { وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار } أي هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه { لا جرم أنما تدعونني إليه } يقول حقا ؟ قال السدي وابن جرير معنى قوله { لا جرم } حقا وقال الضحاك { لا جرم } لا كذب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس { لا جرم } يقول : بلى إن الذي تدعونني إليه من الأصنام والأنداد { ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة } قال مجاهد : الوثن ليس له شيء وقال قتادة يعني الوثن لا ينفع ولا يضر وقال السدي : لا يجيب داعيه لا في الدنيا ولا في الاخرة وهذا كقوله تبارك وتعالى : { ومن أضل ممن يدعو من دون ا من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ؟ * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين } { إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم } وقوله : { وأن مردنا إلى ا } أي في الدار الاخرة فيجازي كلا بعمله ولهذا قال : { وأن المسرفين هم أصحاب النار } أي خالدين فيها بإسرافهم وهو شركهم با D : { فستذكرون ما أقول لكم } أي سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه ونصحتكم ووضحت لكم وتتذكرونه وتندمون حيث لا ينفع الندم { وأفوض أمري إلى ا } أي وأتوكل على ا وأستعينه وأقاطعكم وأباعدكم { إن ا بصير بالعباد } أي هو بصير بهم تعالى وتقدس فيهدي من يستحق الهداية ويضل من يستحق الإضلال وله الحجة البالغة والحكمة التامة والقدر النافذ وقوله تبارك وتعالى : { فوقاه ا سيئات ما مكروا } أي في الدنيا والاخرة وأما في الدنيا فنجاه ا تعالى مع موسى E وأما في الاخرة فبالجنة { وحاق بآل فرعون سوء العذاب } وهو الغرق في اليم ثم النقلة منه إلى الجحيم فإن أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء إلى قيام الساعة فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار ولهذا قال : { ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب } أي أشده ألما وأعظمه نكالا وهذه الاية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور وهي قوله تعالى : { النار يعرضون عليها غدوا وعشيا } .

ولكن هنا سؤال وهو أنه لا شك أن هذه الاية مكية وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ وقد قال الإمام أحمد حدثنا هاشم هو ابن القاسم أبو النضر حدثنا إسحاق بن سعيد هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص حدثنا سعيد يعني أباه عن عائشة Bها أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة Bها إليها شيئا من المعروف إلا قالت لها اليهودية وقاك ا عذاب القبر

قالت Bها : فدخل رسول ا صلى ا عليه وسلّم علي فقلت : يا رسول ا هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟ قال صلى ا عليه وسلّم : [لا من زعم ذلك ؟] قالت هذه اليهودية لا أصنع إليها شيئا من المعروف إلا قالت وقاك ا عذاب القبر قال صلى ا عليه وسلّم : [كذبت يهود وهم على ا أكذب لا عذاب دون يوم القيامة] ثم مكث بعد ذلك ما شاء ا أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه محمرة عيناه وهو ينادي بأعلى صوته [القبر كقطع الليل المظلم أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيرا وضحكتم قليلا أيها الناس استعيذوا با من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق] وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه وروى أحمد حدثنا يزيد حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة Bها قالت [سألتها امرأة يهودية فأعطتها فقالت لها وقاك ا من عذاب القبر فأنكرت عائشة رضي عنها ذلك فلما رأت النبي صلى ا عليه وسلّم قالت له فقال صلى ا عليه وسلّم لا قالت عائشة في تفتنون أنكم إلي أوحي وإنه : ذلك بعد م ّوسل عليه ا صلى ا رسول لنا قال ثم هاB قبوركم] وهذا أيضا على شرطهما فيقال فما الجمع بين هذا وبين كون الاية مكية وفيها دلالة على عذاب البرزخ ؟ والجواب أن الاية دلت على عرض الأرواح على النار غدوا وعشيا في البرزخ وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور إذ قد يكون ذلك مختصا بالروح فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية الاتي ذكرها وقد يقال إن هذه الاية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنب ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حدثنا عثمان بن عمر حدثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة Bها أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهي تقول أشعرت أنكم تفتنون في قبوركم فارتاع رسول ا صلى ا عليه وسلّم وقال : [إنما يفتن يهود] قالت عائشة Bها فلبثنا ليالي ثم قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ألا إنكم تفتنون في القبور] وقالت عائشة Bها فكان رسول ا صلى ا عليه وسلّم بعد يستعيذ من عذاب القبر وهكذا رواه مسلم عن هارون بن سعيد وحرملة كلاهما عن ابن وهب عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري به .

وقد يقال إن هذه الاية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يتصل في الأجساد في قبورها فلما أوحي إلى النبي صلى ا عليه وسلّم في ذلك بخصوصه استعاذ منه وا سبحانه وتعالى أعلم وقد روى البخاري من حديث شعبة عن أشعث ابن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة Bها أن يهودية دخلت عليها فقالت نعوذ با من عذاب القبر فسألت عائشة عذاب نعم] : م ّوسل عليه ا صلى فقال القبر عذاب عن م ّوسل عليه ا صلى ا رسول هاB القبر حق] قالت عائشة Bها : فما رأيت رسول ا صلى ا عليه وسلّم بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر فهذا يدل على أنه بادر A إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر وقرر عليه وفي

الأخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي فلعلهما قضيتان وا سبحانه أعلم وأحاديث عذاب القبر كثيرة جدا وقال قتادة في قوله تعالى : { غدوا وعشيا } صباحا ومساء ما بقيت الدنيا يقال لهم يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخا ونقمة وصغارا لهم وقال ابن زيد هم فيها اليوم يغدى بهم ويراح إلى أن تقوم الساعة وقال : ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد حدثنا المحاربي حدثنا ليث عن عبد الرحمن بن ثروان عن هذيل عن عبد ا بن مسعود Bه قال : إن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاؤوا وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت فتأوي إلى قناديل معلقة في العرش وإن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها فذلك عرضها وقد رواه الثوري عن أبي قيس عن الهذيل بن شرحبيل من كلامه في أرواح آل فرعون وكذلك قال السدي وفي حديث الإسراء من رواية أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري Bه عن رسول ا A قال فيه [ثم انطلق بي إلى خلق كثير من خلق ا رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا { ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب } وآل فرعون كالإبل المسومة يخبطون الحجارة والشجر ولا يعقلون] وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا زيد بن أخرم حدثنا عامر بن مدرك الحارثي حدثنا عتبة ـ يعني ابن يقظان ـ عن قيس بن مسلم عن طارق عن شهاب عن ابن مسعود Bه عن النبي A قال : [ما أحسن محسن من مسلم أو كافر إلا أثابه ا تعالى قال قلنا يا رسول ا ما إثابة ا الكافر ؟ فقال : إن كان قد وصل رحما أو تصدق بصدقة أو عمل حسنة أثابه ا تبارك وتعالى المال والولد والصحة وأشباه ذلك قلنا فما إثابته في الاخرة ؟ قال A : عذابا دون العذاب] وقرأ { أدخلوا آل فرعون أشد العذاب } ورواه البزار في مسنده عن زيد بن أخرم ثم قال : لا نعلم له إسنادا غير هذا وقال ابن جرير حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير حدثنا حماد بن محمد الفزاري البلخي قال سمعت الأوزاعي وسأله رجل فقال : رحمك ا رأينا طيورا تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضا فوجا فوجا لا يعلم عددها إلا ا D فإذا كان العشي رجع مثلها سودا قال وفطنتم إلى ذلك ؟ قال نعم قال إن ذلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فترجع إلى وكورها وقد احترقت أرياشها وصارت سودا فينبت عليها من الليل ريش أبيض ويتناثر الأسود ثم تغدو على النار غدوا وعشيا ثم ترجع إلى وكورها فذلك دأبهم في الدنيا فإذا كان يوم القيامة قال ا تعالى : { أدخلوا آل فرعون أشد العذاب } قال وكانوا يقولون إنهم ستمائة ألف مقاتل وقال الإمام أحمد حدثنا إسحاق حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر Bهما قال : قال رسول ا A : [إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك ا D إليه يوم القيامة] أخرجاه في

الصحيحين من حديث مالك به